

بسم الله الرحمن الرحيم

### الزملاء والزميلات: خيبة طيبة وبعد

كان لي شرف تكليفي من الزميل الدكتور جمال التركي بالإشراف على عدد التطرف، وأحسست بالتحدي والمسؤولية الكبيرة، إلا أنني كنت متفائلاً بدرجة كبيرة من أن المهمة ستكون سهلة إلى حد ما كون التعصب والتطرف من الظواهر التي أصبحت تكاد تكون متجذرة في بنية ذاتنا الاجتماعية وأن النفسانيين والاجتماعيين والأطباء المهتمون سيسهمون كل من زاويته بإلقاء الضوء على ظاهرة من أخطر الظواهر التي عرفتتها البشرية عبر العصور و نظراً للجدور التاريخية والنفسية والاجتماعية للتطرف المنتشرة في المجتمعات البشرية ومن بينها مجتمعاتنا العربية، التي تعاني من وصمة التطرف وتسهم فيه بدرجات تبعث على القلق. إلا أن الخيبة كانت كبيرة؛ إذ أن الهم لم تشد كما كان متوقفاً وما أرسل من مواد لم يكن من العمق ليرقى إلى حجم هذه الظاهرة، وبدا وكأن الأمر لا يلفت نظر العاملين في هذا الميدان أو لا يعد ميداناً يمكن للاعبين فيه أن يتحركوا ضمنه بدرجة من الحرية، وكأن الواقع ظاهرة خارجة عن إطار الوعي ليظل علم النفس علماً يمارس خارج إطار الذات. وما يلفت النظر أكثر هو ذلك الكم الكبير من التعليقات والطروحات التي نقرأها عندما يتعلق الأمر بقضية تدور حول ترجمة مصطلح ما أو حول قضية ثانوية، عندئذ تنبني الأقلام وتشد الهمم وتتصاعد الآراء وتتشكل المدارس، ونبدو وكأننا نريد اختراع العجلة من جديد. وتم تأجيل صدور هذا العدد لأكثر من مرة وتمت مخاطبة الزملاء للإسهام إلا أن الأمر لم يجد الصدى المتوقع. ولم يكن الحال أفضل بالنسبة لي، كمشرف على هذا العدد، فقد كانت كانت الأسئلة التي يطرحها التطرف من الناحية النفسية كثيرة ومتنوعة طرحها الكتاب الغربيون وحاولوا إيجاد الإجابة عنها كل من ميدانه:

- لماذا يتحول البعض في المواقف الاستبدادية الاستثنائية إلى بشر متوحشين ساديين؟
- لماذا ينشأ الإرهاب في بعض الجماعات المقموعة من الشعب ولا ينشأ في جماعات أخرى أكثر فقراً؟
- لماذا يستجيب الشبان مرة بحساسة متطرفة إلى حد كبير وفي مرة أخرى بلامبالاة متطرفة
- على الإغراءات الهدامة؟
- لماذا تصبح الأقليات العرقية أو الدينية أو المذهبية أو السياسية موضوعاً لتطرف العقائدي الذي يتم إسقاط الشر المطلق عليه؟
- ما هي القوى الشعورية واللاشعورية الكامنة خلف النزعة الإنسانية نحو التطرف؟
- ما الذي يجعلنا جميعاً نمتلك الاستعداد للتعصب؟

- كيف تحصل من جهة أخرى لدى عدد محدود من الأفراد تطورات تعصبية في الشخصية، ذلك التصلب و التضييق للهوية ليصبح الأمر مقتصرأ على وجوب تنفيذ القناعات والواجبات التي تم منحها صفة القداسة؟
- وكيف يمكننا أن نصبح أكثر يقظة تجاه الكاريزما Charisma الهدامة ونخص أنفسنا من الإغراءات المتجددة باستمرار للغوغائية Demagogy و إيهام الجماهير؟

وكان علي أن أبحث عن الإجابة لديهم بداية، فكانت أعمال بيتر كونسن موجهأ لي سواء في كتابه عن التعصب أو مقالاته حول الموضوع نفسه، أو كتابه حول إيريك إيركسون الذي ترجمته للعربية وصدر تحت عنوان "البحث عن الهوية" في 2010.

لقد كان موضوع التعصب والتصلب والجمود في الشخصية موضوعأ محورياً في علم النفس منذ بداياته، وشغل جزءأ كبيرأ من أعمال المحللين النفسيين الأوائل واللاحقين. ورأوا الجذور الكامنة وراءه في التربية المتسلطة القائمة على العنف والقهر، تلك التربية التي صبغت البشرية منذ فجرها بأشكال مختلفة من الحقد والكره الأعميين وسببت للبشرية عبر تاريخها الكثير من المآسي.

حتى أن بعض المتخصصين يرى أن تاريخ الإنسانية هو في الوقت نفسه تاريخ التعصب، وأن المتطرفون على اختلاف ألوانهم في عصورهم قد تسببوا بمصائب أكبر مما سببه كل الأوغاد و السيكوباتيين مجتمعين.

تعد المعالجة العلمية الجذرية لظاهرة التعصب و تفسيرها و الوقاية منها ملحة أكثر مما كان عليه الحال حتى الآن. فالعصبية مرتبطة بكل مظاهر الطبيعة الإنسانية، المريضة والسليمة، الشعورية اللاشعورية، المنطقية و غير المنطقية. و يمكنها أن تظل مغلفة أو تنفجر متأججة، تختار الأفراد أو الجماعات أو الجمهور كله. وتنبثق النزعة للتطرف و للانقسام والإسقاط من أعماق النفس الإنسانية. إلا أنه يتم تشكيل الأفكار التعصبية من المجتمع و التاريخ، وليس من النادر أن يتم تأجيحها من المؤسسات السلطوية و استغلالها لخدمتها. و ربما يكون التعصب هو الأكثر غموضأ من بين كل العواطف الإنسانية.

وعلى الرغم من الاهتمام علماء النفس الغربيين بظاهرة التطرف و التعصب العقائدي فإن علماء النفس العرب لم يولوا الاهتمام الكافي لدراسة هذه الظاهرة دراسة علمية موضوعية. وهناك أسباب كثيرة كامنة خلف هذا الموقف "النفسي"، تتمثل قلة الخيلة في تسخير العلم "الغربي" لدراسة ظواهر نفسية واجتماعية ضاربة في جذورها في بنية و صميم المجتمع و بنيته الأساسية، والخوف من مقارنة هذه الظاهرة وتحليلها التحليل العلمي حيث يمتلك الفكر التعصي آلياته الإسقاطية والتأويلية الخاصة التي تهدد حياة كل من يحاول استثارة المكبوت وتوضيح أن الفكر التطرفي المتعصب، سواء أكان دينياً أم سياسياً أم قومياً أم عشائرياً لا يمكن أن يكون همه الأساسي القضاء على الشر الكامن في العالم وإعلاء كلمة الله أو استعادة كرامة الشعب أو تحقيق العدالة أو الحفاظ على وحدة الأمة وإنما هو ميل أو اتجاه يحارب فيه المتطرف الشر و الحقد الكامن في أعماقه نفسه، ذلك الشر الذي لا يستطيع مواجهته فيسقطه على العالم الخارجي، في ثنائية قاطعة، يمثل فيها الداخل الخير المطلق، والخارج الشر المطلق، و يجد هذا الفكر في الدين أو الإيديولوجية الدوغماتية أو العشيبة السماد الملائم ليمنح ميله شرعية مطلقة و قداسة لا يطاها شك.

لقد تم حشرنا كعرب في دائرة الدفاع، فأصبحنا نجد أنفسنا في بعض الأحيان وبصورة لا شعورية في موقف المدافع عن ظاهرة من أخطر الظواهر الإنسانية، وتجلبت ردود أفعالنا في محاولة الدفاع من خلال عزو الأمر إلى الظروف السياسية والاقتصادية وتسلط القوى الكبرى، وسحرتنا نظرية المؤامرة إلى درجة أننا أوهمنا أنفسنا بأننا مسيرين لخدمة أهداف سياسية

خارجية وراق لنا دور الضحية السلبية المنفعلة، فأصبحنا وكأننا لاشعورياً نبرر أو ندافع عن ظاهرة، ندرك نحن أنفسنا مدى خطورتها علينا وعلى مجتمعاتنا وأمننا الاجتماعي والنفسي.

أتقدم بالشكر للزميل جمال التركي، الجندي المجهول الذي لم ييأس بعد ومازال يواصل ما عجزت المؤسسات عن تحمله، ولتكليفي بالإشراف على هذا العدد الذي وجه اهتمامي أكثر نحو بحث أعمق وفهم أكثر من زاوية مختلفة أتمنى أن أجد من يتابعه. كما أتقدم بالشكر للزملاء الذين قدموا مساهماتهم التي أغنت العدد لعلها تكون بداية محاولة أكثر تأصيلاً لظاهرة لم يعد بالإمكان التعمي عنها، تحت أي مبرر.

والله من وراء القصد

## جائزة البروفيسور "محمد الستار إبراهيم" لشبكة العلوم النفسية العربية 2010

يشرفني إعلامكم تأسيس "جائزة شبكة العلوم النفسية العربية" والتي تحمل دورياً اسم علماء من "أعلام العلوم النفسية العرب" لتكون جائزة 2010 "جائزة البروفيسور عبد الستار إبراهيم لشبكة العلوم النفسية العربية".

بالمناسبة نعلمكم فتح باب الترشيح للجائزة في دورتها الأولى وفق الشروط التالية:

- تمنح الجائزة لشخصية عربية مختصة في العلوم النفسية قدمت خدمات جليلة لتطور العلوم النفسية العربية ( طب نفسي- علم نفس) في العشرية الأخيرة 2000-2009

- يرفق طلب الترشيح " العمل الذي رشح للجائزة " وتحديد مدى الإضافة التي ساهم بها عمله في تطور العلوم النفسية العربية، مصحوبا بسيرة علمية حديثة ومفصلة عن تنص نشاطه العلمي، منشوراته و مؤلفاته ( مع ملخصاتها )

- تسند الجائزة مؤقتا "كل سنتين" وتسلم للفائز بها على هامش أحد مؤتمرات الطب النفسي أو علم النفس (لا تتحمل الشبكة مصاريف نقل وإقامة الفائز لحضور المؤتمر الذي ستمنح فيه الجائزة )..

- تتألف الجائزة من "رمز للشبكة" مع "مكافأة مالية قدرها 1000 دولار".

- يفتح باب الترشيح لجائزة 2010 بداية من 2010 /04/01 إلى غاية 2010/07/ 30

- تقديم الترشيح شخصي، لا يقبل ترشيح الهيئات و المؤسسات لشخصيات دون علمهم أو بالنيابة عنهم

- يعلن على الفائز بالجائزة نهاية سبتمبر 2010

ترسل ملفات الترشيح باسم رئيس الشبكة و تكون بالتزامن على عناواني الشبكة ورئيسها ( لا تقبل إلا الوثائق الإلكترونية).

[arabpsynet@gmail.com](mailto:arabpsynet@gmail.com)

[turky.jamel@gnet.tn](mailto:turky.jamel@gnet.tn)

تتكون "لجنة تحكيم الجائزة" من أعضاء الهيئة العلمية الإستشارية للشبكة

يحق لأعضاء الهيئة العلمية الإستشارية للشبكة الترشيح للجائزة إلا أنهم يفقدون عضويتهم آليا من هيئة لجنة تحكيم الجائزة.

تجرب الجائزة إذا قدرت الهيئة العلمية للشبكة إن ما قدم من أعمال لا يرقى إلى مستواها.

تفضلوا تقبل أصدق مشاعر المودة والتقدير والاحترام

دمتم سندا والمعرفة

الدكتور جمال التركي

رئيس شبكة العلوم النفسية العربية